... واشْفَعْ تُشَفَّعْ...

وفي سياق الحديث عن المقام العالي للحبيب المصطفىٰ ﷺ ، هذه اللقطات الرائعة عن الشفاعة والمقام المحمود:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل النبي صلوات الله عليه عن معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] فقال: «هي الشفاعة»[١].

لكن يا ترىٰ هل الشفاعة لأصحاب الكبائر فقط ، أم هي شاملةٌ لجميع العصاة من أمة الحبيب محمد صلوات الله عليه؟.

والجواب ينقله أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: «خُيّرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة ، وبين الشفاعة ، فاخترتُ الشفاعة ؛ لأنها أعمّ ، أترونها للمتقين؟ لا ، ولكنها للمذنبين الخطّائين»[٢].

ثم ينقل لنا الرسول ﷺ عن الأهوال التي تُصيب الناس وقتئذٍ ، وكيف يذهبون إلىٰ الأنبياء عليهم السلام ويطلبون منهم الشفاعة عند الله سبحانه فيعتذر كل واحدٍ منهم بسبب ما يرون لأنفسهم منه من ذنوب!.

قال: ثم يأتون خاتم الرسل محمد صلوات الله عليه ، ويطلبون منه الشفاعة، فينطلق الرسول ﷺ إلىٰ تحت عرش الرحمن، فيخرّ ساجداً، ويحمد الله بالمحامد الكثيرة.

قال: فيُنادىٰ: يا محمد! اِرفع رأسك ، وسَلْ تُعطه ، واشفع تشفّع ، فيرفع

---

(١) سنن الترمذي: (٣١٣٧).

(٢) سنن ابن ماجه: (٤٣١١).

الرسول ﷺ رأسه ويقول: «يا رب! أمتي ، أمتي».

فيُنادىٰ: يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب[1].

والبشارة الرائعة هي التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لكل نبيّ دعوةٌ مستجابةٌ دعا بها في أمته ، فاستُجيب له ، وأنا أُريد أن أُؤخّر دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة»[2].

أجل يا شفيعنا يا محمد!

جزاك الله عنّا كل خير ، فكم كنتَ حريصاً علينا يا رسول الله. . . :

حسبي إذا ما منحتُ المصطفىٰ مدحي ... في الحشر تزكيةٌ منه وتعديلُ

مدحٌ به ثقُلت ميزان قائله ... وخفّ عنه من الأوزار تثقيلُ

وكيف تأبىٰ جنىٰ أوصافه هممٌ ... يروقها من قطوف العزّ تذليلُ

وليس يدرك أدنىٰ وصفه بشرٌ ... أيقطع الأرض ساعٍ وهو مكبولُ

كل الفصاحة عيٌّ في مناقبه ... إذا تفكّرتُ والتكثير تقليلُ

* * *

(١) صحيح البخاري: (٤٧١٢).

(٢) صحيح مسلم: (٣٤٠).